المحاضرة السابعة: التلقي في المشاهدة التلفزيونية :

تمرّ تجربة المشاهدة التلفزيونية حسب (شرام ودونالد روبرت) عبر عدة متغيرات ينبغي أخذها بعين الإعتبار تتمثل في الإستعداد العقلي والمعايير الإجتماعية والعلاقات الإجتماعية، وبالتالي فإنّها تجربة معقّدة تتداخل فيها ثقافة المشاهد وثقافة المنتج، كما تتداخل فيها قوة تأثير الرسالة التلفزيونية مع قدرة الفرد المشاهد على الإنتقاء والإختيار أثناء التعرض، والّتي تكون في شكل إستجابات شعورية ونفسية تتمثل في: إرتياح المشاهد أو غضبه، رضاه أو نقده لما يشاهده، وبعبارة أخرى فإنّ تلقي البرامج التلفزيونية يظهر كتجربة ذات صلة وثيقة بالزمن المشاهد يرسم من خلالها المشاهد كل الأفعال التي تلقاها سواء في الزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل وذلك عن طريق تركيز إنتباهه حول البرنامج المشاهدة من جهة، وممارسته لفعل التأويل الذي من خلاله يستنتج الدلالات من جهة أخرى، ويمكن أن نلخص جوهر التلقي في المشاهدة التلفزيونية من خلال أربع مراحل حسب ما يلي:

1- التأثير:

ويتم ذلك من خلال إندماج المشاهِد مع العرض المشاهَد، مما يؤدي به إلى شعوره وكأنه أمام شيء حقيقي، وبالتالي يولّد لديه متعة المشاهدة ومن ثمّة التأثير على شعوره ونفسيته.

2- التطهير:

هذا المفهوم له علاقة بالتأثير الإنفعالي لدى المتلقي وما هو إلاّ عبارة عن الإنفعال الذي يحرر المشَاهِد من المشَاهِد الضّارة، وينتج هذا النوع من الإنفعال خاصة عندما يشاهد المتلقي أعمال العنف ممّا يؤدي به إلى تفريغ شحنة العنف الموجودة عنده وهذا ما يؤدي إلى خلق متعة آنية بالنسبة إليه، علما أنّ هذا المصطلح هو مصطلح يوناني ينتمي إلى مفردات الطب الذي يعني التنقية والتطهير على المستوى الجسدي والعاطفي، وأوّل من طرحه هو أرسطو وإعتبره غاية التراجيديا من حيث تأثيرها الطبي واللغوي.

3- التمثّل أو التماهي:

ويدل على العملية السيكولوجية غير الواعية، حيث يميل الإنسان من خلالها إلى التشبه بإنسان آخر، أي يتقمص عاطفيا ويتمثل المشاهِد التي يشاهدها في البرنامج، فمثلا يرى المشاهِد في مشهد عذاب البطل هو عذابا لنفسه، وهذا ما يسمى بمفهوم التقمص العاطفي أو الوجداني، وبالتالي فعملية التمثل ما هي إلاّ عملية نفسية يحاول من خلالها الفاعل معايشة نفس الوضعية ولكن خياليا.

4- التأويل:

يتم في هذه المرحلة ضمن التجربة التلفزيونية تفسير الخطاب الذي تلقّاه المشاهِد إنطلاقا من خبراته الشخصية وتنشئته الإجتماعية، وبالتالي التعرّف على دلالات ومعاني النص التلفزيوني وهذا طبعا بعد توظيفه لأدواته الإدراكية الخاصة به.

إنطلاقا من هذا المنظور، فإذا كانت التجربة التلفزيونية عبارة عن عملية معقّدة (نشاط المشاهد) ترتبط خاصة بالحالة النفسية للمشاهد، فإنّ هذه الأخيرة قد تخلق متعة جمالية أثناء المشاهدة، حيث تمثّل المتعة درجات لا يمكن قياسها بجهاز خاص، لكن يمكن قياسها من خلال ما تحدثه في نفس المتلقي من بهجة وسرور أو دهشة، وبالتالي فإنّ المتعة هي محصّلة التجربة التلفزيونية، والتي تعكس حالة شعورية ترتقي بالمشاهد إلى مستوى الراحة والاسترخاء بفعل يولد اللّذة البصرية التي تخاطب عواطف المشاهد، غير أنّ هذه المتعة قد لا تكتمل بصفة نهائية، وذلك لتدخّل عدّة متغيرات مرتبطة بالدرجة الأولى، بوجود وصلات إشهارية التي قد تؤثّر على المتلقي في إستمرار إنتباهه وتركيزه على البرنامج، ممّا قد يؤدي إلى التأثير عليها (المتعة التلفزيونية) من جهة، ومن جهة أخرى المتعة التي يجدها في الومضات الإشهارية هي الأخرى لا تكتمل نظرا لمحدودية وقت الومضة في حدّ ذاتها، إلاّ أنّ المشاهد إذا وجد هناك إغراءا ومتعة في البرنامج المشاهد فقد يرجع لمتابعته بعد الوصلة الاشهارية.